سورة العنكبوت

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [العنكبوت: ١٩]

القراءات: «يروا» قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر وشعبة بخلف عنه بتاء الخطاب، وقرأ الباقون بياء الغيب وهو الوجه **الثاني-** لشعبة.

التوجيه: قال الألوسي: وذهب بعض المحققين إلى أنّ قوله تعالى «أن تكذبوا» إلخ من كلام إبراهيم عليه السلام، وقوله سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴾ إلخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله، والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها، والواو للعطف على مقدر، أي ألم ينظروا ولم يعلموا كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة، ومن غير مادة، أي، فتعلَّموا ذلك، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بخلاف عنه، «ألم تروا» بتاء الخطاب وهو على ما قال هذا البعض لتشديد الإنكار وتأكيده، ولا يحتاج عليه إلى تقدير قول، ومن لم يجعل ذلك كلامًا مستأنفًا مسوقًا من جهته تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث، قال: إنّ الخطاب على تقدير القول، أي قال لهم رسلهم: «ألم تروا» ووجه ذلك، بأنه جَعَل ضمير «أو لم يروا» على قراءة الغيبة لأمم في قوله تعالى «أمم من قبلكم»، فيجعل في قراءة الخطاب له أيضًا ليتحد معنى القراءتين، وحينئذ يحتاج لتقدير القول ليحكي خطاب رسلهم معهم؛ إذ لا مجال للخطاب بدونه وقيل: إنّ ذاك، لأنه لا يجوز أن يكون الخطاب لمنكري الإعادة من أمة إبراهيم، أو نبينا -عليهما الصلاة والسلام- وهم المخاطبون بقوله تعالى: «وإن تكذبوا»، لأنّ الاستفهام للإنكار، أي قد رأوا، فلا يلائم قوله تعالى «قل سيروا» إلخ، لأن المخاطبين فيها هم المخاطبون أولًا؛ يعني إن كانت الرؤية علمية، فالأمر بالسير، والنظر لا يناسب لمن حصل له العلم بكيفية الخلق، والقول بأن الأول دليل أنفسي، والثاني أفاقي مخالف للظاهر من وجوه. اهـ، فتدبر. ولعل الأظهر والأبعد عن القيل والقال في نظم الآيات ما نقلناه عن بعض المحققين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

القراءات: «النشأة» قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين وألف بعدها، والباقون بإسكان الشين وحذف الألف.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ «النشأة» بوزن فعلة، وهي المرة من النشء وهو الإيجاد، عُبر عنها بصيغة المرة، لأنها نشأة تخالف النشءَ الأول، ويقال النشاءة بمدٍ بعد الشين بوزن الكآبة ومثلها الرأفة، والرءافة، ووصفها بالآخرة إيماء بأنها مساويةٌ للنشأة الأولى، فلا شبهة لهم في إحالة وقوعها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

القراءات: «مودة بينكم» قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس برفع تاء «مودة»، بلا تنوين و «بينكم» بالخفض، وقرأ نافع وابن عامر وشعبة، وأبو جعفر وخلف العاشر بنصب تاء «مودة» وتنوينها ونصب «بينكم»، وقرأ الباقون وهم حفص وحمزة وروح بنصب تاء «مودة» بلا تنوين.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وخلف «مودة» منصوبًا منونًا بدون إضافة و «بينكم» منصوبًا على الظرفية، وقرأ حمزة و حفص عن عاصم وروح عن يعقوب «مودة» منصوبًا غير منون؛ بل مضافًا إلى «بينكم» و«بينكم» مجرورًا وهو من إضافة المظروف إلى الظرف، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب مرفوعًا مضافًا على أن تكون «ما» في «إنما» موصولة، وحقها أن تكتب مفصوله و«مودة» خبر «إنّ»، فتكون كتابة «إنما» متصلة من قبيل الرسم غير القياسي، فيكون الإخبار عنها، بأنها مودة إخبارًا مجازيًا عقليًا باعتبار أنّ الاتخاذ سبب عن المودة

ولما في المجاز من المبالغة كان فيه تأكيد للخبر بعد تأكيده بـ «إن»، فيقوم التأكيدان مقام الحصر إذ ليس الحصر، إلا تأكيدًا على تأكيد، كما قال السكاكي: أي: لأنه؛ بمنزلة إعادة الخبر حيث يُثبت ثمّ يؤكد بنفي ما عداه. والخبر مستعمل في غير إفادة الحكم، بل في التنبيه على الخطأ بقرينة قوله عقبه ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾، ونظيره جملة صلة الموصول في **قول عبدة بن الطيب**:

إن الذين تَرونَهم إخوانَكم ... يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا

ولمّا كان في قوله «مودة بينكم» شائبة ثبوت منفعة لهم في عبادة الأوثان إذ يكتسبون، بذلك مودة بينهم تلذ لنفوسهم قرنه بقوله ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾، إلخ تنبيهًا لسوء عاقبة هذه المودة وإزالةً للغرور والغفلة ليعلموا أن اللذات العاجلة لا عبرة بها إن كانت تعقب ندامة آجلة.

وقال القرطبي: فأما قراءة ابن كثير ففيها ثلاث أوجه، ذكر الزجاج، منها وجهين: أحدهما أنّ المودة ارتفعت على خبر «إنّ» وتكون «ما»، بمعنى الذي. والتقدير: إنّ الذي اتخذتموه من دون الله أوثانًا مودةُ بينكم، والوجه الآخر أن يكون على إضمار مبتدأ، أي هي مودة أو تلك مودة بينكم، والمعنى آلهتكم، أو جماعتكم مودة بينكم. قال ابن الأنباري «أوثانًا» وقف حسن عند رفع المودة بإضمار ذلك مودة بينكم. ومن رفع المودة على أنّها خبر «إنّ» لم يقف. والوجه **الثالث**- الذي لم يذكره أن يكون «مودة» رفعًا بالابتداء و «في الحياة الدنيا» خبره، فأما إضافة «مودة» إلى «بينكم»، فإنّه جعل «بينكم» اسمًا غير ظرف، والنحويون يقولون جعله مفعولًا على السعة، وحكى سيبويه: يا سارقُ الليلةَ أهلَ الدار؛ ولا يجوز أن يضاف إليه وهو ظرف؛ لعلةٍ ليس هذا موضع ذكرها. ومن رفع «مودة» ونونها فعلى معنى ما ذكره و «بينكم»، بالنصب ظرفًا، ومن نصب «مودة»، ولم ينونها جعلها مفعوله بوقوع الاتخاذ عليها، وجعل «إنما» حرفًا واحدًا، ولم يجعلها بمعنى الذي، ويجوز نصب المودة على أنه مفعول من أجله كما تقول: جئتك ابتغاءَ الخير، وقصدت فلانًا مودةً

له «بينكم»، بالخفض ومن نون «مودة» ونصبها فعلى ما ذكر «بينكم»، بالنصب من غير إضافة قال ابن الانباري: ومن قرأ «مودةً بينكم» و «مودةَ بينكم» لم يقف على الأوثان، ووقف على الحياة الدنيا، ومعنى الآية جعلتم الأوثان تتحابون عليها وعلى عبادتها في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ تتبرأ الأوثان من عبَّادها والروؤساء من السفلة، كما قال الله عز وجل ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧]

القراءات: قرأ نافع «النُّبُوءَة» وقرأ الباقون «النُّبُوَّة».

التوجيه: قرئ «النبُوءة» بالهمز على أنّ أصل الفعل «نَبَأَ» و«أنبأ» وقرئ بغير همز «النُّبُوَّة» على أنّ أصل الفعل «نَبَا» ومثل هذا يقال في «النبي» بغير همز «والنبىء» بالهمز.

قال في لسان العرب: قال الجوهري: النبىء: المخبر عن الله - عَزَّ وجَلَّ - لأنه أنبأ عنه وهو فعيل بمعنى فاعل وقال ابن برى: صوابه أن يقول فعيل بمعنى مُفْعِل مثل نذير بمعنى مُنْذِر وأليم بمعنى مُؤلِم وقال سيبويه: ليس أحدٌ من العرب إلا ويقول: تنبأ مسليمة بالهمز غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخابية إلا أهل مكة فإنّهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك، قال: والهمز في النبىء لغة رديئة يعني لقلة استعمالها لا لأنّ القياس يمنع ذلك وقال الفراء: النبيّ هو من أنبأ عن الله فترك همزه، وقال: وإن أُخذ من النبوة والنباوة -وهي الارتفاع عن الأرض- فالمناسبة أنّه أَشرفَ على سائر الخلق فأصله غير الهمزة. قال ابن منصور: والنبىء: الطريق الواضح.

قلتُ: كل ما ذكر من معانٍ يصدق على الأنبياء؛ فهم أشرف الناس منزلة وأعلاهم قدرًا وكذا هم يخبرون عن الله بشرعه وكذا هم يُقتدى بهم فهم طرق من سلك سبيلهم دخل الجنة ويصح كذلك أن يكون «النبئ» فعيل بمعنى مفعول كما أنه يصح أن يكون «فعيل» بمعنى فاعل، ويكون المعنى على مفعول أنه هو المنبَّأ من الله، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٢٩].

القراءات: قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب «إنكم لتأتون ..... أئنكم لتأتون»، وقرأ الباقون «أئنكم لتأتون ..... أئنكم لتأتون».

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر «إنكم لتأتون الفاحشة» بهمزة واحدة على الإخبار المستعمل في التوبيخ، وقرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وخلف بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة «إن»، وقرأ الجميع، «أإنكم لتأتون الرجال» بهمزتين.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب «لَنُنْجِيَنَّه» وقرأ الباقون «لَنُنَجِّيَنَّه».

المعنى: قال في لسان العرب: النَّجاء: الخلاص من الشيء نجا ينجو نَجْوًا ونجاءً ونجاةً، والنجوةُ والنجاةُ ما ارتفع من الأرض فلم يَعْلُه السيل فظننته نجاءك والجمع نِجاء، وقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] أي نجعلك فوق نجوةٍ من

الأرض فنظهرك أونلقيك عليها لتعرف وقال الزجاج معناه نلقيك عُريانًا لتكون لمن خلفك عبرة وقال أبو العباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت : ٣٣] أي نخلصك من العذاب وأهلك، واستنجى منه حاجته: تخَلَّصها ومعنى نجوت الشيء في اللغة خَلَّصته وأَلْقَيته.

التوجيه: قال في لسان العرب: يقال أنجيتُ غيري ونجَّيتُه ونجّاه اللهُ وأنجاه يقصد أنّها بمعنىً.

قلتُ: قراءة «لننجّينَّه» بتشديد الجيم من «نجّى» وقرئ «لننْجِينَّه» بكسر الجيم مخففة من «أنجى» ووجه القراءة الأولى – والله أعلم – بيان عظيم هول العذاب الذي نجّى الله لوطًا ومؤمني أهله منه كما يفيد عظيم المنة عليهم في إنجاءهم، وذلك لما يفيده التشديد [تشديد الجيم] من التثقيل، والقراءة الثانية تفيد أن ذلك الإنجاء في قدرة الله يسير، فالله على كل شيء قدير، وذلك لما يفيده التخفيف [تخفيف الجيم] من الخفة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت :٣٣].

القراءات: قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص وأبو جعفر «مُنَجُّوك»، وقرأ الباقون «مُنْجُوك».

التوجيه: قراءة «منجوك» بتخفيف الجيم تدل على سهولة هذا الإنجاء في قدرة الله، وقراءة تشديد الجيم تدل على عظيم الهول والعذاب الذي أنجى الله لوطًا وقومه منه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت : ٣٤]

القراءات: قرأ ابن عامر «مُنَزِّلون» وقرأ الباقون «مُنْزِلون».

التوجيه: قرئ «منزِّلون» بتشديد الزاي للدلالة على التكثير والاستمرار، فما أعظم العذاب الذي أنزله الله عليهم، وهذا العذاب مستمر، فهم في برزخهم يعذبون وإذا قامت الساعة أُدخِلوا النار، وقراءة «منزلون» بتخفيف الزاي تدل على استئصالهم بذلك العذاب، وعلى أنّ نزوله كان دفعةً واحدة، فهما قراءتان متكاملتان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾ [العنكبوت: ٤٢]

القراءات: «يدعون» قرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بياء الغيب، وقرأ الباقون بتاء الخطاب على الالتفات.

التوجيه: قال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة قوله «إنَّ الله يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ»، فقرأته عامة قراء الأمصار «تَدْعُونَ» بالتاء بمعنى الخطاب لمشركي قريش «إنَّ الله» أيها الناس «يعلم ما تَدْعُونَ إليه من دونه من شيء»، وقرأ ذلك أبو عمرو «إنّ الله يعلم ما يَدْعُونَ» بالياء، بمعنى الخبر عن الأمم: إنّ الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم من دونه من شئ. والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ بالتاء؛ لأن ذلك لو كان خبرًا عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكهم، لكان الكلام: إنّ الله يعلم ما كانوا يدعون، لأن القوم في حال نزول هذا الخبر على نبي الله لم يكونوا موجودين، إذ كانوا قد هلكوا، فبادوا وإنما يقال: إنّ الله يعلم ما تدعون، إذا أريد به الخبر عن موجودين لا عمّن قد هلك.

قلتُ: القراءتان متواترتان، ولا مانع من إرادة الموجودين على قراءة الياء أيضًا من باب الإعراض عن خطابهم، وقد أوضح **الألوسي** وجوه ذلك، فقال: «إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ» على إضمار القول، أي قل للكفرة: إنّ الله إلخ، وقيل: لا حاجة إلى إضماره لجواز أن يكون «تدعون» من باب الالتفات للإيذان بالغضب، وفيه بحث، وقرأ أبو عمرو وسلام: «يعلم ما» بالإدغام. وأبو عمرو وعاصم بخلاف «يدعون» بياء

الغيبة حملًا على ما قبله و«ما» استفهامية منصوبة بتدعون. و«يعلم» معلقة عنها؛ فالجملة في موضع نصب بها و «من» **الأولى-** متعلقة بتدعون على ما هو الظاهر و «من» **الثانية-** للتبيين، وجوز كونها للتبعيض، ويجوز كون ما نافية ومن **الثانية-** مزيدة و«شيء» مفعول تدعون، أي لستم تدعون، من دونه تعالى شيئًا، وكأن ما يدعونه من دونه عز وجل لمزيد حقارته لا يصلح أن يسمى شيئًا؛ وجوز كونها مصدرية وهي وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يعلم على أنها بمعنى يعرف الناصبة لمفعول واحد، ومن تبعيضية، أي يعرف دعاءكم وعبادتكم بعض شيء من دونه، وقيل: «من» للتبيين و «شيء»، بمعنى ذلك المصدر وتنويه للتحقير، أي يعرف دعوتكم من دونه هي دعوة حقيرة، وجوز كونها موصولة مفعول يعلم، بمعنى يعرف ومفعول تدعون عائدها المحذوف ومن إما بيان للموصول؛ أو تبعيضية. وجوز زيادتها على هذا الوجه، وما بعده، ولا يخفى ما فيه. والكلام على الوجهين الأولين في «ما» تجهيل للكفرة المتخذين من دون الله تعالى أولياء لما فيهما من نفي الشيئية عما اتخذوه وليًّا، والاستفهام عنه الذي هو في معنى النفي، لأنه إنكار، وفيه توكيد للمثل، لأن كون معبودهم ليس بشيء يعبأ به مناسب، ولذا لم يعطف، وعلى الوجهين الأخيرين فيهما وعيد لهم، لأن العلم على دعائهم إيّاه، وترك العطف فيه، لأنه استئناف، ويجوز إرادة التجهيل والوعيد في الوجوه كلها.

وقال ابن عاشور: «وما» من قوله «ما تدعون» يجوز أن تكون نافية معلقة فعل «يعلم» عن العمل وتكون «من» زائدة لتوكيد النفي ومجرورها مفعول في المعنى لـ «تدعون» ظهرت عليه حركة حرف الجر الزائد، ومعنى الكلام أن الله يعلم أنكم لا تدعون موجودًا ولكنكم تدعون أمورًا عدمية، ففيه تحقير لأصنامهم بجعلها كالعدم؛ لأنها خلو عن جميع الصفات اللائقة بالإلهية، ولم يرد في الكتاب والسُّنّة إسناد فعل المعرفة إلى الله، فكيف يسند إليه ما يؤول بمعناها؟؟

قلتُ: قد ورد في الحديث «تعرّف إلى الله في الرخاء يعرْفك في الشدة».

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠]

القراءات: «آيات» قرأ ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر «آية» بالتوحيد على إرادة الجنس، وقرأ الباقون «آيات» بالجمع.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ «آيات»، و«آية» بالإفراد والجمع، وهما في هذا سواء لأنّ القصد إلى الجنس، فالآية الواحدة كافية في التصديق.

قلتُ: ويحتمل أن يقال: لعلّ بعضهم طلب آيةً وبعضهم طلب آيات، أو لعلّهم كانوا أحيانًا يطلبون آيةً وأحيانًا أخرى آيات.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

القراءات: «ويقول ذوقوا» قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر، بالياء، وقرأ الباقون بالنون على الالتفات.

التوجيه: قرئ بالنون «ونقول» للدلالة على عظيم غضب الله على هؤلاء الكفار، وللدلالة كذلك على عظيم قدر الله وعظيم كبرياءه، وقرئ بالياء «ويقول» لتعيين القائل وللدلالة على أنّ الله هو الذي يقول ذلك تبكيتًا لهم.

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

القراءات: قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر «يا عبادِيَ الذين» وقرأ الباقون «عبادِيْ».

التوجيه: قرئ «يا عبادِيْ» بسكون الياء على الأصل في ياء الإضافة، وقرئ بفتحها تخفيفًا لثقل الياء وهما استعمالان معروفان عند العرب ولغتان في المنادى، وهناك لغة أخرى

بحذف حرف النداء أصلًا لمزيد التخفيف «يا عبادِ» وقد نقلنا عن د/ فاضل السامرائي، في كتاب «كنوز قرآنية» الجزء الثالث، أنّ أشهر هذه اللغات وأجودها «يا عبادِ» ثمّ «يا عباديْ»، ثمّ «يا عباديَ» ووجهٌ آخر أنّ قراءة «يا عبادِيْ» تدل على مزيد القرب لما يفيده التصاق الياء وقراءة «يا عباديَ» بالفتح لمن هم أقل وذلك للخفة التى تفيدها فتحة الياء وقراءة «يا عبادِ» بالحذف لمن هم أقل، فها هنا احتمالان:

١- أن يقال «ياعبادىْ» بالإسكان أجود لغةً من «ياعبادىَ» بالفتح، فتكون قراءة «ياعباديْ» لقوم أكثر إيمانًا من هؤلاء الذين نودوا في قراءة «ياعباديَ»، ولم يقل «ياعبادِ» التي هي أجود اللغات لأنّ الخطاب في هذه الآية لقومٍ كان عندهم بعض التردد في هجرة ديارهم من أجل الفرار بدينهم، والمقربون الذين ينادون بأجود اللغات «يا عبادِ» ليس عندهم هذا التردد، فأكرم بكلام ربيَ الأعلى!!

٢- أن يقال «يا عبادىْ» بالإسكان تدل على مزيد القرب من «يا عباديَ» فقراءة «يا عبادىْ» لقوم أكثر إيمانًا من هؤلاء الذين نودوا فى قراءة «يا عباديَ» ولم يقل «يا عبادِ» لأنهم - على هذا الاحتمال - أقل من الجميع إيمانًا، فلعل القراءتين في قوم هاجروا وكمل يقينهم «يا عباديْ» وآخرون هاجروا ولكن يقينهم أقل منهم «يا عباديَ» فاستقوا - لهجرتهم - شرف النداء الرباني لهم بينما من لم يهاجروا لم يستحقوا ذلك، ولو نودوا لقيل لهم «يا عبادِ»، والاحتمال الأول أرجح، والله أعلم.

فائدة: في ضوء هذا التوجيه تعرف سر قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ [الزمر: ١٠]، ولم يقرأها أحدٌ «يا عباديَ» ولا «يا عباديْ»، وسر قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقد قرئت «يا عبادىَ» و «ياعبادىْ»، ولم يقرأها أحد «ياعبادِ» لأنّ «يا عبادِ» أجود لغات النداء فناسب ألا يُنادى بذلك العصاة في آية (الزمر ٥٣)، وألا يُنادَى بغيرها المؤمنون الكمّل

أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٦ - ٥٧].

القراءات: قوله «أرضي واسعة» قرأه ابن عامر «أرضي واسعة»، وقرأه الباقون «ارضيْ واسعة». «ترجعون» قرأ شعبة بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب، وقرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

التوجيه: قراءة التاء على الخطاب على أنّه خطابٌ لعباد الله المذكورين في قوله تعالى في الآية الأولى ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥] تصبيرًا لهم وتبشيرًا لهم بأنّ ثواب هجرتهم من أرضهم لله لن يضيع وتخويفًا لهم من الركون إلى الدنيا، وترك الهجرة الواجبة، وقراءة الياء على الغيبة إعراضًا عن مخاطبة المشركين الذين مَنعوا المؤمنين من إقامة شرع الله في أرضهم حتى اضطروهم لمغادرة أوطانهم، فكأنه قال يا عباديَ الذين مُنعوا من إقامة الشرع في أوطانهم: إنّ أرضي واسعة؛ فهاجروا فيها، ولا تركنوا إلى الدنيا، وتشغلوا بها عن الآخرة، فكلُ نفسٍ ذائقة الموت سواءٌ أكنتم في أوطانكم، أم في غيرها ثمّ إلينا يُرجع هؤلاء المجرمون الكفار الذين أخرجوكم من أرضكم لإيمانكم، فسنجازيهم على بغيهم وظلمهم.

قر «أرضيْ» بياء الإضافة الساكنة على الأصل، وقرئ بفتحها «أرضيَ» تخفيفًا، ولعل المقصود من قراءة «أرضيْ» أرض الإيمان والصلاح التي يجد المهاجر فيها المعونة من أهلها على طاعة الله، فناسب ذلك إسكان الياء الذي يدل على مزيد الالتصاق، لتقوية إضافتها إلى الله، ومقصود قراءة «أرضيَ» الأرض التي ليست كذلك، ولكن يستطيع المهاجر فيها أداء فرائض الله وعبادته، فناسب ذلك فتح الياء والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [العنكبوت: ٥٨]

القراءات: «لنبوئنهم» قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر «لنثوينهم» بثاء ساكنة بعد النون، وتخفيف الواو وبعدها ياء مفتوحة، وقرأ الباقون «لنبوئنهم» بباء مفتوحة وتشديد الواو وبعدها همزة مفتوحة.

التوجيه: قال القرطبي: قرأ حمزة والكسائي «لنثوينهم» بالثاء مكان الباء من الثوي وهو الإقامة، أي لنعطينهم غرفًا يثوون فيها، وقرأ رويس عن يعقوب والحجدري والسلمي: «ليبوئنهم» بالياء مكان النون، وقرأ الباقون «لنبوئنهم» أي لننزلنّهم «غرفًا» جمع غرفة وهي العليَّة المشرفة، وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «**بلي والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٦]

القراءات: «وليتمتعوا» قرأ قالون وابن كثير وحمزة والكسائي وخلف العاشر بإسكان اللام، والباقون بكسرها وهما وجهان جائزان في لام الأمر.

التوجيه: قال ابن جرير: «ولِيتمتعوا» اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة «ولِيتمتعوا» بكسر اللام، بمعنى وكي يتمتعوا آتيناهم ذلك، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين «ولْيتمتعوا» بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ، أي: اكفروا، فإنكم سوف تعلمون ماذا يَلْقون من عذاب الله بكفرهم به، وأولى القراءتين عندي في ذلك، بالصواب قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد، وذلك

أنّ الذين قرءوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفًا بها على اللام التي في قوله «ليكفروا» وإن قوله «ليكفروا» لما كان معناه كي يكفروا، كان الصواب في قوله «وليتمتعوا» أن يكون: وكي يتمتعوا، إذ كان عطفًا على قوله: ليكفروا عندهم، وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب وذلك، لأن لام قوله «ليكفروا» صلحت أن تكون، بمعنى كي، لأنها شرط لقوله: إذا هم يشركون بالله كي يكفروا بما آتيناهم من النعم؛ وليس ذلك كذلك في قوله «وليتمتعوا»، لأن إشراكهم بالله كان كفرًا بنعمته، وليس إشراكهم به تمتعًا بالدنيا، وإن كان الإشراك به يسهِّل لهم سبيل التمتع بها، فإذ كان ذلك كذلك، فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه إلى معنى: وكي يتمتعوا، وبعد، فقد ذكر أنّ ذلك في قراءة أبيّ «وتمتعوا»، وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام، بمعنى الوعيد.

وقال ابن عاشور: قرئ «ليتمتعوا» بكسر اللام على أنها لام التعليل، وقرئ بسكون اللام فهي لام الأمر، وهى بعد حرف العطف تسكن وتكسر وعليه، فالأمر مستعمل في التهديد وهو نظير قوله تعالى «اعملوا ما شئتم»

قلتُ: قد نقلنا عن د/ محمد سالم محيسن أنّ الكسر وجهٌ جائزٌ في لام الأمر، وأمّا **قول ابن جرير:** وليس إشراكهم به تمتعًا بالدنيا، فقد أبان **الزمخشري** وجه ذلك، فقال: والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا -بالعود إلى شركهم- كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة؛ إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم، ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ.

❁❁❁